

مردود خ اجتاحت البلاد ثورة داخلية ازباع خلالها الملك البابلي عن العرش ونصب نبو نائيد ملكا على البلاد في عام ٥٥٦ ق.م.

وكان نبو نائيد آخر الملوك البابليين حيث ظل يحكم البلاد حتى سقوط بابل على ايدي الجيش الاخرمي بقيادة كورش عام ٥٣٩ ويظن انه كان ابن احد النبلاء بينما كانت والدته كاهنة الاله سن العليا في حران وكان منذ عهد نبوخذنصر من الشخصيات البارزة حيث قام بدور الوسيط بين مملكة ليديا والميديين واشتهر بولعه الكبير بالبحث عن الماضي وتقصي اخباره واستخراج النصوص القديمة حتى طفت هذه الصفة على شخصيته في كتابات المؤرخين المحدثين .

وكان على نبو نائيد بعد توليه الحكم ان يواجه الاضطراب الذي حل بالأمبراطورية بعد وفاة نبوخذنصر وكان الارتكاك والاضطراب الداخلي ينحصر في مشكلتين اساسيتين الاولى التاحية الاقتصادية والثانية التاحية الدينية . فقد كانت البلاد تمر بازمة اقتصادية حادة نتجت عن احتكار المعابد للشؤون الاقتصادية وسيطرتها الكاملة تقريبا عليها وتقلص واردات الحكومة المركزية يقابل ذلك تضخم كبير ومستمر في ميزانية الحكومة التي استمرت تصرف الاموال الطائلة على المشاريع العمرانية وتغذى الجيوش للقيام بالحملات العسكرية وزاد في الازمة سيطرة الميديين ومن ثم الانحصارين على الطرق التجارية الرئيسة التي كانت تسل ارباحاً طائلة على بلاد بابل بينما كان من نتائج اندلاع الثورات والتمردات في سوريا ان انقطعت الطرق التجارية الموعدية الى ساحل البحر المتوسط . فارتقت اسعار ارتفاعاً فاحشاً ولاسيما اسعار المواد الغذائية والحاجيات الضرورية الاخري واستغلت الطبقة الميسورة هذه الظاهرة كما استغلتها دون شك الاسر اليهودية عن طريق اقراض الناس القروض بفائدة فاحشة واضطربتهم الى بيع املاكهم بل وحتى اولادهم سداً لديونهم .

اما المشكلة الدينية ، فقد ظهرت في البلاد تيارات دينية جديدة نتيجة اختلاط البابليين بالاقوام الاجنبية ولاسيما اليهود الذين ساهم نبوخذنصر ، وربما تأثر

نبو نائيد ببعض هذه التيارات فدعى إلى عبادة الإله سن ، الإله القمر ، وصرف على معابده مبالغ طائلة في محاولة منه لتوحيد الديانة في كافة أرجاء الإمبراطورية ويبدو أن نبو نائيد وجد في مدينة حران الواقعة على الطريق التجارى حلاً لكننا المشكلتين الاقتصادية والدينية ، فوجه إليها اهتمامه وعمل على انتزاعها من القوات الميدية التي كانت تسيطر عليها واستغل فرصة انشغال الميديين مع الأخميين . فدخل حران بقراته واردان يجعل منها مركزاً جديداً له : سيماناً وان مدينة حران ذات أهمية دينية خاصة باعتبارها مركزاً لعبادة الإله سن وباعتبارها ذات موقع تجاري هام تلتقي عليه الطرق التجارية القادمة من مصر والجزيرة العربية وبابل . وبدأ نبو نائيد بصرف الجهود الكبيرة ل إعادة معبد الإله سن وتعميره غير أن انشغاله في حران قد زاد في الأزمة الاقتصادية وانتشر التمرد والعصيان هذه المرة في المدن البابلية نفسها وعمت المجاعة في بلاد بابل وزاد ارتفاع الأسعار وضاقت الحياة بالناس وكانت محاولة نير نائيد اليائسة في نقل مركز تقليل الامبراطورية إلى ناحية الغرب . أى إلى شمال شبه الجزيرة العربية ليضمن السيطرة على الطريق التجارية القادمة من جنوب الجزيرة العربية . فقد حملة كبيرة إلى شمال غرب الجزيرة العربية تاركاً وصيا على عرش بابل وتوغل في شبه الجزيرة العربية واتخذ واحة تيماء ، بعد أن قبض على ملكها المحلي ، قاعدة عسكرية له خلال السنوات العشر التالية . واستولى على واحة ادومو (دومة الجندي) ثم اندفع جنوباً ليسيطر على مناطق أخرى منها واحة يربه (يرب) . وربما كان اليهود الذين فجدهم في المدينة عند ظهور الإسلام هم هُن بقايا اليهود الذين جلبهم نبو نائيد معه أثناء غزوه لشبه الجزيرة العربية .

ومع محاولة نبو نائيد هذه ، فإن الأزمة الاقتصادية في بلاد بابل ازدادت سوءاً وزادها غياب نبو نائيد وقواته المسلحة في الجزيرة العربية لفترة طويلة . واستغلت الفرصة بلاد عيلام وب بدأت الغارات على بلاد بابل . وعند عودة نبو نائيد إلى بابل تسكن من السيطرة على الموقف وقام ببعض المشاريع العمرانية .

عاد نبو نائيد الى بابل بعد ان امضى ما يقرب من عشر سنوات في واحة تيماء وكان عمره آنذاك حوالي سبعين عاما . وكانت الاوضاع الداخلية مرتباكة بينما كانت الاحوال الخارجية تتغير بشكل سريع ومفاجيء . ففي ايران كانت الدولة الاخمينية في عهد ملوكها كورش توسيع بسرعة عجيبة فتمكنت من القضاء على مملكة ليديا في عهد ملوكها كروسوس (قارون) كما وصلت الجيوش الاخمينية الى ساحل آسيا الصغرى والمدن الایونية في غرب آسيا الصغرى ثم توجهت الجيوش الاخمينية الى بلاد آشور وسيطرت على اجزاء من شرق بلاد آشور . ومع ان بلاد بابل كانت على علاقات طيبة مع الدولة الاخمينية ، الا ان مصالح الاخمينيين اقتضت اعلان الحرب على بلاد بابل ، وقد بدأت الحرب بشن حملة دعائية واسعة في بلاد بابل ضد الملك البابيلي قادتها الاسر اليهودية الموجودة في البلاد حتى انها ادعت بان كورش هو المسيح المنتظر الذي ارسله رب لتخلص الناس وهكذا مهد كورش لتقادمه وبدأ هجومه على بلاد بابل بان توغل تدريجيا في الاقاليم الشرقية الى بلاد بابل وواجه الجيش البابيلي عند مدينة اوبيس سلوقيا حيث قتل الشاه البابيلي واستمر كورش في تقادمه الى مدينة سبار وتوجه منها الى مدينة بابل ودخلها دون مقاومة تذكر وذلك في ١٣ تشرين الثاني عام ٥٣٩ ق . م ولا يعرف مصير نبو نائيد وربما قتل اثناء ذلك او انه ، كما تشير بعض الاخبار ، عين حاكما على احدى الولايات الفارسية في ايران .

وقد اتبع كورش سياسة اللين والترضية والتسامح بعد دخوله بابل وقرب الى الاله مردوخ وقدم له الخضوع والطاعة بينما منع قواته من سلب ونهب المدينة ولقب نفسه بالقاب ملوك بلاد بابل فرحب به السكان المحليون . وفي اعياد رأس السنة البابلية ، تقدم ابنه قمبيز بالخضوع للالله واستلم الملكية من الاله مردوخ كي تكون ملكيته على بابل مستمدۃ من الالله نفسها وليس نتيجة الفتح . او هكذا ارادوا ان يظن الناس في حكمهم .

وكان كورش الاسر اليهودية التي عاونته في الفتح وسمح لها بالعودة الى فلسطين وهكذا انتهت الدولة البابلية الحديثة وانتهى معها آخر حكم وطني في العراق حتى الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي .

العهود الاجنبية في العراق

١ - الفرس الاخميينون : -

لم يكن الفرس الاخميينون اول الاقوام التي استقرت في ايران وحاولت السيطرة على العراق والتدخل في شؤونه الداخلية . فقد رأينا من خلال حديثنا عن تاريخ العراق القديم منذ مطلع الالف الثالث الميلاد كيف ان العلامين ، الذين كانوا يقطنون في الجزء الجنوبي الغربي من ايران في اقليم خورستان (الاهواز او الاحواز ومنها منطقة عبادان او عربستان) ، كانوا يحاولون دائما التدخل في شؤون الدوليات والمدن السومرية والبابلية مما دفع الحكام والملوك العراقيين المتعاقبين على صد هجوم الاقوام العلامية والسيطرة على بلاد عيلام . وقد كانت الحدود العلامية - العراقية القديمة بين مد وجزر طوال الالف الثالث والثاني قبل الميلاد وتحكم فيها قوة الحكومات المركزية بين العراق او ضعفها ، ووقيت بلاد عيلام اكثر من مرة ، ابتداء من عهد الدولة الاكدية ، تحت نفوذ السلالات الحاكمة في العراق ولكنها كانت دائما تتحين الفرص للانقضاض على السلطات الحاكمة في بلاد بابل ونهب وسلب مدنها ولعل هجوم العلاميين على العراق في او اخر العهد الكاشي ونهبهم الكبير من كنوزه ومنها مسلة حمورابي مثل على ذلك . واخيرا تمكّن الآشوريون في عهد ملوكهم المتأخرین ولاسيما سنحاريب وآشور بانيبال ، من القضاء نهائيا على بلاد عيلام وتدميرها وازالتها من الوجود . وطبيعي ان علاقة بلاد عيلام بالعراق الطويلة المستمرة قد ادت الى اقتباس العلاميين لكثير من المظاهر والمقومات الحضارية العراقية القديمة ويأتي في مقدمة ذلك اقتباس فكرة الكتابة المسماوية منذ مطلع الالف الثالث قبل الميلاد ومن ثم تطوير الخط